الرسائل لابن تيمية

# الفطرة

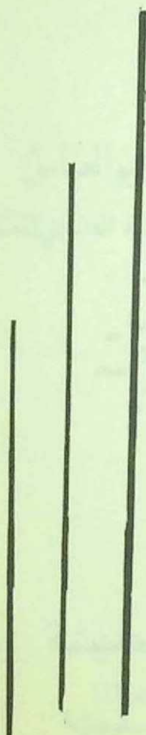
تأليف

أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن تيمية

تحقيق

عبد الحميد شانوحة

دار المطبوعات الحديثة
تليفون ٦٦١٠٨٨٠ ص ب ١٦٦٢٥
جدة - المملكة العربية السعودية



# الفطرة

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م

# الفطرة

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس

أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي

(٦٦١هـ ٧٢٨)

تحقيق

عبد الحميد شانوحة




الناشر

دار المطبوعات الحديثة

تليفون ٦٦١٠٨٨٠ ص ب ١٦٦٢٥

جدة - المملكة العربية السعودية

طبع بموجب خطاب ادارة المطبوعات بالمدينة المنورة
تحت الرقم ٥٢ / م / ٣ تاريخ ١٨ / ١ / ١٤٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

# ترجمة حياة

## شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

( ٦٦١هـ ٧٢٨ )

ولد الإمام الحافظ الفقيه المحدث ، ناصر السنة ، وقامع البدعة ، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي . يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستمائة ( ٦٦١هـ ) وتوفي سنة ( ٧٢٨هـ ) .

إنه سليل أسرة كريمة ، اشتغل أبناؤها بالعلم حتى عرفوا به ، وبرزوا فيه وفي دمشق الشام المحروسة نشأ أحمد بن تيمية وترعرع ثم درس

ونضج حتى بلغ أشده واتاه الله تعالى العلم والحكمة ، وصار أحد الأئمة الأعلام .

كانت له عوامل النبوغ ومؤهلاته : وراثة طيبة ، عميقة الجذور ، بعيدة الأصول ، سامقة الفروع ، وبيئة علمية أوفت على الغاية ، وقوى علمية بلغت حد العجب والإعجاب ، وتوفيق من الله تعالى ، وبركة في الوقت حتى صار فريد عصره ، ووحيد دهره ، وإمام زمانه .

**من شيوخه :**

سمع الحديث من ابن الدائم ، وابن أبي اليسر ، وابن عبدان ، والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي وغيرهم ..

**من تلاميذه :**

لقد تلقى عن المؤلف رحمه الله تعالى كثير من العلماء المشهورين المشهود لهم بالفضل ، منهم من هو أكبر منه سناً ، ومنهم من هو من أقرانه .. ومنهم من هو أصغر منه سناً . ممن لازمه وأخذ عنه الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، المشهور بـ « ابن قيم الجوزية » صاحب المؤلفات .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي الصالحي وقد أكثر العلماء في مدحه وعمت كتبه الأرض نفعنا الله به . آمين ..

# رسالة في الكلام على الفطرة

ومعرفة الله عز وجل . جمع الشيخ محمد بن محمد بن محمد المنبجى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

في قول النبي ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه كما تنتج البهيمة ببهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »[1] ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم : ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله )[2] رواه البخاري ومسلم ، فالفطرة المراد بها الإسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب .

---

( ١ ) رواه مسلم في القدر والبخاري في الجنائز .

( ٢ ) الروم آية ٣٠ .

## الفطرة :

وسئل مجاهد عن الفطرة فقال : هي الإسلام . وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد : ( لا تبديل لخلق الله )[1] قال : لاتبديل لدين الله ، وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعي ، وروي عن ابن عباس وعكرمة في إحدى الروايتين عنهما . والقول بأن الفطرة الإسلام هو إحدى الروايات عن الإمام أحمد ، وقاله ابن عبد البر في التمهيد . وقال آخرون : والفطرة ههنا : الإسلام . قال : وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله في تفسير هذا الحديث المتقدم . ثم قال : وأما قوله : ( فطرة الله التي فطر الناس عليها )[2] « فقد أجمعوا على » أن قالوا : دين الإسلام انتهى .

---

( ١ ) الروم آية ٣٠ .

( ٢ ) الروم آية ٣٠ .

وليس كما قال وذكر القرطبى في تفسيره أقوالا في الفطرة منها : دين الإسلام ، وهو المعروف عند عامة السلف إلى أن قال : ومعنى هذا أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذى أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه ، وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا فى الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى .

وقال أبو بكر النقاش : اختلف أهل التأويل في الفطرة فقيل : على ملة ابراهيم ، ثم ذكر قريباً مما ذكره القرطبى .

وقد احتج لهذا القول بأدلة :

منها : حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم .

ومنها : ماثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي ، عن النبي ﷺ فيما يرويه

عن ربه عز وجل : « خلقت عبادي حنفاء مسلمين ، فاجتالتهم الشياطين ، وحرمت عليهم ماأحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً »[1] .

ومنها : مارواه الترمذي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم ، يولد على فطرة الإسلام ، ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم ، فهودتهم ، ونصرتهم ، ومجستهم ، وأمرتهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً »[2] .

ومنها : مافي الصحيحين : « خمس من الفطرة »[3] أي من فطرة الإسلام وفي مسلم ورواه أحمد وأبو داود : « عشر من الفطرة »[4] وفي

---

( ١ ) رواه مسلم في جنة وأحمد ٤ / ١٦٢ .

( ٢ ) رواه الترمذى في القدر .

( ٣ ) رواه البخاري في اللباس ومسلم في الطهارة

( ٤ ) رواه مسلم في الطهارة .

لفظ : « عشر من سنن الإسلام » .

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين : كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بربه عز وجل ، معرفة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته ، والفاطر الخالق وقوله تعالى : ( ومالي لأعبد الذي فطرني )[1] يعنى الذى خلقني ووجهوا هذا بقوله : كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الأذن . قالوا : ففي هذا الحديث تمثيل أولاد بني آدم وأولاد البهائم لا نقص فيهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية يرد على من قال : كل مولود يولد على ماسبق له في علم الله أنه سائر إليه .

---

( ١ ) يس آية ٢٢ .

قال الشيخ : ومعلوم أن جميع المخلوقات بهذه المثابة ، فجميع البهائم هي مولودة على ماسبق في علم الله لها ، وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقاً على الفطرة ، وأيضاً فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله : « فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » معنى فإنهما فعلا به ماهو الفطرة التي ولد عليها ، فلا فرق بين التهويد والتنصير .

ثم قال بعد أسطر فتمثيله ﷺ بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدعت ، يبين أن أبويه غير ماولد عليه .

ثم قال بعد ذلك : وقولكم خلقوا خاليين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحداً منها ، بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر ، وليس هو لأحدهما أقبل منه

للآخر ، فهذا قول فاسد جداً ، فحينئذ لافرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار والتهويد والتنصير والإسلام ، وإنما ذلك بحسب الأسباب فكان ينبغي أن يقال : فأبواه يسلمانه ، ويهودانه وينصرانه ، فلما ذكر أن أبويه يكفرانه ، وذكر الملل الفاسدة دون الإسلام ، علم أن حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر .

ثم قال بعد ذلك : ففي الجملة كل ماكان قابلا للمدح والذم على السواء ، لايستحق مدحاً ولا ذماً والله تعالى يقول : ( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها )[1] فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها .

وأيضاً فالنبى ﷺ شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق ، وشبه مايطرأ عليها من الكفر بجدع

( ١ ) الروم آية ٣٠ .

الأنف ، ومعلوم أن كمالها محمود ونقصها مذموم ، فكيف تكون قبل النقص لامحمودة ولا مذمومة اهـ .

وقد ذكر الخلال في جامعه في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة

**أحكام الفطرة :**

( أنبأ ) المروزي أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب : أنهم مسلمون إذا كانوا صغاراً ، وإن كانوا مع أحد الأبوين ، ويحتج بالحديث . وذكر عنه نصوصاً كثيرة في هذا الباب .

وقد سئل الزهري : عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزيه رضيع يعتقه ؟ قال : نعم . لأنه ولد على الفطرة وهي الإسلام ، وقال الزهري : يصلى على

كل مولود متوفى وإن كان لغية لأنه ولد على فطرة الإسلام ، والإسلام هو قول لا إله إلا الله وذلك في قوله تعالى : ( أفمن شرح الله صدره للإسلام )[1] قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لا إله إلا الله ، ولهذا كان معلوماً بالفطرة أنه لابد لكل موجود من موجد ، ولكل مصنوع من صانع ، كما قال تعالى : ( أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون )[2] يقول أخلقوا من غير خالق خلقهم ، أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم : ( ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله )[3] قل : ( من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله )[4] الآيات الثلاث .

---

( ١ ) الزمر آية ٢٢ .

( ٢ ) الطور آية ٣٥ .

( ٣ ) لقمان آية ٢٥ .

( ٤ ) المؤمنون آية ٨٦ .

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب ، قبل علمهم بحاجتهم إلى الإله المعبود ، وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة كان إقرارهم بالله إقراراً فطرياً من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ، ولهذا إنما بعثت الرسل تدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له ، فتفاصيل الأمر والنهي إنما تعرف من جهة الرسل .

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة : ( قالت رسلهم أفي الله شك )[1] فالمشركون من عبادة الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به أنه ربهم وخالقهم ورازقهم ، وأنه رب السموات والأرض والشمس والقمر ، وأنه المقصود الأعظم ، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي عمران بن حصين : « كم تعبد اليوم إلها . قال : ستة في

---

( ١ ) ابراهيم آية ١٠ .

الأرض وواحد في السماء . قال : فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك . قال : الذي في السماء »[1] رواه الترمذي فالله تعالى فطر الخلق كلهم على معرفته فطرة توحيد ، حتى من خلق مجنوناً مطبقاً مصطلماً لايفهم شيئاً مايحلف إلا به ، ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة .

**معرفة الله بالفطرة :**

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل عن بعض العلماء لاأستحضره قال : لو ترك طفل رضيع في بيت لايكلم ، وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية ، وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبعد ، فنوع الإنسان أشرف من كثير من

---

( ١ ) رواه الترمذي في الدعوات رقم ( ٣٥٥٠ ) واسناده منقطع الحسن البصرى لم يسمع من عمران .

المخلوقات . قال ابن عباس من جميع المخلوقات قاله في قوله : ( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا )[1] ولاشك أنه أفضل من الجمادات ، وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه وتحميده وتنزيهه نطقاً لا يفهمه إلا الذي أنطقها به قال تعالى : ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا )[2] قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال : تسبيحها تسبيح حقيقي ولهذا قال : إنه كان حليما غفوراً ، أي إذا كانت الجمادات التي لاتتنعم تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور ، إذ

---

( ١ ) الاسراء آية ٧٠ .

( ٢ ) الاسراء آية ٤٤ .

لم يعاجل المقصرين الذين كملت النعمة في حقهم بالعقوبة وقال تعالى : ( ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه )[1] الآية وقال تعالى : ( سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم )[2] وقال تعالى : ( يسبح لله مافي السموات ومافي الأرض )[3] والآيات كثيرة في هذا الباب ، وقد أتى بلفظ الماضي الدال على وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح وتجدده كل وقت ، ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده إذ قد فطرها عليه ، كما فطر بني آدم على الإقرار بربوبيته :. ( ألست بربكم قالوا بلى )[4] لم يتخلف منهم أحد ، وكما أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة

( ١ ) النور آية ٤١ .
( ٢ ) الحديد آية ١ .
( ٣ ) الجمعة آية ١ .
( ٤ ) الأعراف آية ١٧٢ .

وعشياً في قوله تعالى : ( في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال )[1] وقال تعالى : ( فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشياً )[2] وقال تعالى : ( اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا )[3] وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى في حق داود : ( إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق )[4] قال أبو هريرة : كان داود إذا سبح أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذكر ، وقال أبو الفرج ابن الجوزى : قد روي أن داود كان إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ مر بجبل جمدان فقال : « هذا جمدان سبق المفردون . قالوا : ومالمفردون يارسول الله ؟ قال : الذاكرون

---

( ١ ) النور آية ٣٦ .
( ٢ ) مريم آية ١١ .
( ٣ ) الأحزاب آية ٤٢ .
( ٤ ) ص آية ١٨ .

الله كثيراً والذاكرات » فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله إلى ذكر الله ، بل قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات قال تعالى : ( ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير )[1] والتأويب : هو ترجيع التسبيح ، وأخبر سبحانه عن الحجارة أن منها لما يهبط من خشية الله ، وهذا يدل على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها . فإن الخشية تستلزم العلم بالمخشى وكذلك قوله : ( ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين )[2] وهذا خطاب من يعرف ربه ويعقل أمره ، وليس هذا خطاب تكوين لمعدوم فإنه خاطبهما بعد وجودهما وكذلك قوله : ( إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت )[3]ومعنى

---

( ١ ) سبأ آية ١٠ .

( ٢ ) فصلت آية ١١ .

( ٣ ) الانشقاق آية ١ .

أذنت : أصغت واستمعت لقوله وأمره ، وكذلك اخباره عن الأرض يوم القيامة أنها يومئذ تحدث أخبارها ، وفي الترمذي أن النبي ﷺ قال : « أتدرون ماأخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها من خير أو شر »[1] وهذه شهادة نطق لما تحملته من الشهادة في هذه الدار لما أوحى لها فإنه تعالى قال : ( بأن ربك أوحى لها )[2] وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالى : ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب )[3] ولو كان سجودها هو مجرد دلالتها

---

(١) رواه الترمذى رقم ٣٥٨١ في تفسير سورة إذا زلزلت واسناده صحيح .
(٢) الزلزلة آية ٥ .
(٣) الحج آية ١٨ .

على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختص بكثير من الناس ، بل جميع العالم دال على صانعه ، وأمثال هذا كثير في القرآن ، وما كان بهذه المثابة كيف يستنكر معرفته لربه ، وسجوده له ، وتسبيحه بحمده ، ولو لم يكن في هذه الآيات إلا قوله تعالى : ( سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم )[1] في أوائل هذه السور فإنه سبحانه أتى بلفظ ماالمتناولة لغير أولي العلم قطعاً إما اختصاصاً وإما تغليباً ولا يصح حمل ماذكرنا من الآيات على أولي العلم وتخصيصها بهم ، إذ لو أريد ذلك لجيء بلفظ من المختصة بمن يعقل ، وإن كان قد وقع في القرآن مالمن يعقل ، ومن لما لايعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره .

---

(١) الحديد آية ١ .

والمقصود إذا كانت هذه الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتنزيهه والإنسان أشرف منها ، فلأن يفطر على معرفته بربه بطريق الأولى والأحرى ، لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة ، لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الإسلام ، والإسلام كلمة التوحيد كما تقدم ، وإن كان الإسلام في الأصل هو الإستسلام والإنقياد .

**معرفة الله :**

( فصل ) ومن تمام الكلام على أن معرفة الله تعالى فطرية ، وتقدم الاستدلال بالآية والحديث ، فإن أول مايبدأ بهِ في الاستدلال : الكتاب والسنة ، ثم أقوال العلماء والمفسرين ، وإن كان في أصل

المسألة الناس متنازعون في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية ، وأن شيخ الإسلام ابن تيمية يفصل فيقول : يختلف باختلاف الناس . ولكن الصحيح أنها فطرية لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ قال : « كل مولود يولد على الفطرة » ولكن قد يعرض للفطرة مايفسدها ، فتحتاج حينئذ إلى النظر ، فهي في الأصل ضرورية وقد تكون نظرية،ثم المعرفة الواجبة لا تتعلق بنظر خاص ، بل قد تحصل ضرورية فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الأسباب في حصول المعرفة الضرورية ، ولكن قد يحتاج إلى أمور يجب الإيمان بها فيتوقف على النظر ، فيجب النظر لما طرأ على الفطرة من الفساد ، فإن كون هذا العالم لابد له من صانع وخالق ومدبر ، فهذا ضرورى ، فكونه لايعرف هذا إلا بطريق النظر ، فيه نظر وأي نظر ، بل هو معلوم

عقلا وواجب عقلا ، وقد أركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ، ناطقها وصامتها ، حيوانها وجمادها ، كما تقدم أنها مسبحة بحمده عارفة به ، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ، ومع دلالتها على الوحدانية ، مسبحة بحمده معترفة به تسجد له ، وأن جميع المخلوقات خلا كفار الثقلين تسبح بحمده ، وتسبيح كل شيء بحسبه ، فلولا أن كل شيء يسبح بحمده وينزهه ويعظمه بما لا نفهمه نحن ، ولا يعلمه إلا الذي أنطقه به لما أخبرنا به ، وأنه دال على عظمته .

وقد روينا في جزء الفريابي في كتاب الذكر له بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن الجبل لينادي الجبل مقابله باسمه هل مر بك اليوم ذاكرا لله عز وجل ، فإن قال نعم ، فيقول : هنيئاً

لك لكن مامر علي اليوم أحد يذكر الله .

وروى أيضاً بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال : مامن صباح ولا رواح إلا تنادي بقاع الأرض بعضها بعضاً ، ياجارة . هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أو ذكر الله عليك ، فمن قائلة : لا . ومن قائلة : نعم . فإذا قالت : نعم . رأت بذلك لها فضلا ، فكل فطرة سليمة لم تجتالها الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتقربه وتزداد إيماناً ، ولا يقول هذه أخبار آحاد وآثار لا تفيد شيئاً في هذا الباب ، وإنما هذه من باب الفرجة والمطالعة .

قلنا يكفينا ماتقدم لنا من أخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة : ( وإن منها لما يهبط من خشية الله )[1] وهذا يدل على

---

( ١ ) البقرة آية ٧٤ .

أنها تعرف ربها معرفة تليق بها ، وإلا لما هبطت من خشيته فإن الخشية تستلزم العلم بالمخشي وقد تقدم ذلك .

## كلام الجامدات :

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة : وأنها تهبط من خشية الله . ثلاث مذاهب : قال الصوفية : هي حيوان وفيها جزء حي تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له . وقال آخرون : هذا من مجاز التشبيه . وقال الأشعري : الله تعالى يخلق لها حياة عند إرادة ذلك منها نحو جبل الطور . انتهى كلامه ذكره في النكت .

## أصح الأقوال :

قلت ماذكره من هذه الأقوال . أما القول

الأول : فهو قول بعض جهلة الصوفية ، وإلا فكون الحجارة حيواناً مما يعلم بالفطرة بطلانه . وأما القول الثاني : كونه من مجاز التشبيه ، فإن هذا مما يشهد الكتاب والسنة ببطلانه أما الكتاب : فما تقدم لنا من الآيات على تسبيح كل شئ بحمده . وأما السنة : فتسبيح الحصى في كف النبي ﷺ ، ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحاً يسمعه الحاضرون وقال النبي ﷺ : « إني لأعرف حجراً كان يسلم علي قبل أن أبعث »[1] فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ، ولو لم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ، ولهذا أخبر النبي ﷺ عن جبل جمدان . فقال : « هذا جمدان يحبنا ونحبه » وكذلك أخبر عن أحد : « أنه يحبنا ونحبه »[2]

( ١ ) رواه مسلم في الفضائل .

( ٢ ) رواه البخاري في الاعتصام ومسلم في الفضائل .

وهذا جبل يبغضنا ونبغضه .

قال ابن عباس : لما أراد الله تعالى أن يتجلى بموسى ، تطاولت الجبال ليتجلى لها ، وتواضع زبيراً — يعني الطور — فتجلى له ، وهذا يدل على أنها تعرف ربها .

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله : ( جعله دكاً )[1] قال : صار لعظمته ستة جبال . فوقعت ثلاثة بالمدينة : أحد ، وورقان ، ورضوى . ووقعت بمكة ثلاثة : ثبير ، وحراء وثور .

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجمادات فقال تعالى : ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها

---

( ١ ) الاعراف آية ١٤٣ .

وحملها الإنسان )[1] فهذا الإباء والاستعفاء بعد أن عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها .

وليس المقصود ذلك ، وإنما المقصود أن الإنسان أشرف عند الله وأعظم من الجبال حتى من البيت ، لما روى ابن ماجة عن ابن عمر قال : رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول : « ماأطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك »[2] .

فمع شرف الإنسان ، لا يركب الله في فطرته وعقله مايعرفه ربه من غير دليل نظري يحتاج فهمه

---

( ١ ) الأحزاب آية ٧٢ .

( ٢ ) رواه ابن ماجه في الفتن والدارمى في المناسك والترمذي في البر ، باب ماجاء في تعظيم المؤمن وقال : هذا حديث حسن غريب وقال : نظر ابن عمر الى الكعبة وقال : ماأعظمك .. « فجعل الكلام كلام ابن عمر » .

إلى عسر ، وقد ينتقض عليه أو يشككه فيه من هو ألحن بحجته منه .

هذا الهدهد طير من الطيور ، وفي نظرنا عديم العقل يصيح كغيره من الطيور ، قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك فقال : ( أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ـــ إلى قوله ـــ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم )[1] هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون ، فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عليها جميع المخلوقات .

**ماهية المعرفة الفطرية :**

فإن أريد بالمعرفة : المعرفة التامة ، وهي معرفته بصفات الكمال ونعوت الجلال فيما لم يزل

( ١ ) النمل آية ٢٢ .

ولا يزال ، ومعرفة أسمائه ومأأمر به ومانهى عنه وما أخبر به ومأأراده من عباده شرعا ، وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرد وقوعه ، فهذا مايعلم إلا بالسمع من جهة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فعبادة الله تعالى والإيمان به إنما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ .

قال الإمام أحمد في رواية المروزي : معرفة الله تعالى في القلب تفاضل وتزيد ، وهذا يدل على أن المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم إنها تزيد وتتمكن بتظاهر الأدلة ، والقاضي أبو يعلى في المعتمد استدل بهذه الرواية على أنها كسبية . وقال : لأنها لو كانت فطرية لم تزد ، وقال في رواية يعقوب إن المعرفة لاتزيد ولا تنقص ، وهذه الرواية عكس الأولى ، وحملها القاضي على أنه أراد بالمعرفة ههنا الإقرار بالإسلام ، وهو لايزيد ولا

ينقص ، لأنه موقوف على الشهادتين ، وفيما قاله نظر لأنه صدر في أول المسألة . فقال : معرفة الله تحصل بأدلته الظاهرة وحججه القاهرة وهي : أنفسنا والسموات والأرض ومابينهما ، وذلك أن آثار الصنعة لازمة لهذه الأشياء ، فدل على صانع صنعها ، ومنشئ أنشأها ذكره في المعتمد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الكلام على سورة القلم ، وذكر أن أول ماأوجب الله على نبيه وأمره به : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق )[1] ثم قال بعد كلام كثير : قد بين أن الإقرار بالاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس ، وإن كان بعض الناس قد يحصل له مايفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر يحصل له به المعرفة ، وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار . أن المعرفة

---

( ١ ) القلم آية ١ .

تحصل بالضرورة ، وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين انتهى .

## أسلوب القرآن :

وقال الشيخ أيضاً في شرح الأصفهانية : وأما طريقة القرآن في إثبات الصانع ، فإنا قد بيّنا في غير هذا الموضع اختلاف الناس في الإقرار بالصانع ، هل هو فطري ؟ أو نظري ، وبيّنا قول من قال أنه فطري ، وأن كل مولود يولد على الفطرة ، وأنه قد يصير نظرياً لبعض الناس لما يعرض له من الشبه . ويستدل على ذلك بالأدلة الكثيرة انتهى . فإذا قلنا هذا محدث وكل محدث فلابد له من محدث ، أو هذا ممكن وكل ممكن

فلابد له من موجب ، أو هذا موجود وكل موجود فلابد له من موجد ، أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلابد له من خالق ، أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلابد له من صانع ونحو ذلك ، فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يتخذلق بذهنه ، ويتهم أذهان الناس بالفساد ، ويركن إلى ذهنه وعقله فيقول : هذا يدل على محدث مطلق ، وواجب مطلق ، وواحد مطلق ، لا يمتنع تصوره من وقوع الشركة فيه ، فلهذا يكله الله تعالى إلى ذهنه وفهمه وعقله ، فما يرشده الله إلى الصواب : ( ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً )[1] ؛ ( من يهد الله فهو المهتد )[2] .

فمن طلب الهداية من الله عز وجل ، واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز ، وعلم أنه

---

( ١ ) الكهف آية ١٧ .　　( ٢ ) الكهف ١٧ .

لابد أن ينتهى إلى فاعل قديم لايكون إلا واحداً ، وواجب بنفسه لا يكون إلا واحداً ، فهو واحد مطلق عندنا ، أليس هو معيناً في نفس الأمر ، وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة الشريفة ، فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته ، لاسيما في معرفة ربه فلابد من النظر ، ولهذا قدمنا أنها فطرية وأن الشيخ رحمه الله قال : وقد يعرض لبعض الناس من الشبه مايفسد فطرته فلابد له من النظر ، وهذا الذي عرض هو ماذكره النبي ﷺ في نفس الحديث : إن كل مولود يولد على فطرة الإسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم ، فمنهم من هودته ، ومنهم من نصرته . ومنهم من مجسته . ونقول ومنهم من وسوست له بما تشككه في خالقه وقد أخبر فقال عن رسله أنهم قالوا لقومهم : ( أفي الله شك فاطر السموات

والأرض )[1] يعني خالق السموات والأرض : ( ومالي لأعبد الذي فطرني )[2] أي خلقني أفي الخالق شك وقد قال : ( هل من خالق غير الله )[3] .

### أهل النظر :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ذهب طوائف من النظار إلى أن معرفة الله واجبة . ولا طريق إليها إلا بالنظر ، فأوجبوا النظر على كل أحد ، وهذا القول إنما اشتهر في الأمة عن المعتزلة ونحوهم ، ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره : إيجاب الأشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال ، وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة كالقاضي أبو

---

(١) ابراهيم ١٠ . (٢) يس آية ٢٢ .

(٣) فاطر آية ٣ .

يعلى وأتباعه ، مثل أبي الفرج الشيرازي ، وأبي الخطاب ، وابن عقيل وغيرهم ، ومع هذا فقد اختلف كلام الأشعري وأصحابه في إيجاب النظر فقال أبو إسحاق الإسفراييني : من اعتقد مايجب اعتقاده هل يكتفي به ، اختلف الأصحاب فيه . ثم ذكر كلامه وكلام الأشعري وأصحابه مطولا وذكر في المسألة قولين عنهم ، حتى أن أبا إسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال : واختلفوا أيضاً في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الأعيان ، أو من فروض الكفايات ، والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الإيمان إلا به ، ومنهم من قال يصح الإيمان بدونه لكن تاركه عاص ، وهذه الأقوال كلها مايقوم الدليل من الكتاب والسنة إلا على بعضها .

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا ،

وقال طوائف من العلماء : النظر لايجب على أحد إما لأن الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة وذلك لايحتاج إلى نظر ، وإما لأن المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة ، وقد تحصل إلهاماً ، وقد تحصل بالتصفية ، وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم ، وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعى وغيرهما والله أعلم .

وقال بعض العلماء : يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص ، فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الأحوال لا من اللوازم العامة . فيقال : كل علم وجب ولم يحصل إلا بالنظر وجب النظر ، وأما إذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجباً لم يكن النظر واجباً .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال : هذا أعدل الأقوال . وكلام الأئمة والسلف إنما يدل عليه ، والذين أوجبوا النظر ليس معهم مايدل على عموم وجوبه ، إنما يدل على أنه قد يجب فإنهم قالوا : الواجب لا يحصل إلا به لقوله تعالى : ( قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات والنذر )[1] الآية وقوله : ( قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى )[2] وقوله : ( فلينظر الإنسان مم خلق )[3] فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاحدين فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ، ولا ريب أن النظر يجب على هؤلاء ، والذين خالفوا في وجوب النظر ومنعوا قالوا : لانسلم وجوب المعرفة ولا نسلم انحصار طريقها في النظر .

(١) يونس اية ١٠١ .
(٢) سبأ آية ٤٦ .
(٣) الطارق آية ٥ .

والمقصود أن الذين أوجبوا لله على عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله وأن يطيعوا الله ورسوله ، فهذا فرض على كل أحد ووجوب الإيمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، ونصوص القرآن متظاهرة به ، فالعلم بمعرفة الله ضروري ، وإلا لو كان نظرياً لكان يجب على الرسل أول مايدعونهم إلى النظر ، وهذا مما علم فساده من دين الإسلام ، فإن كل كافر إذا أراد الدخول في دين الإسلام أول مايؤمن بالشهادتين ، فلو قال : أنا أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلماً ، ولو قال : أنا أعرف الله أنه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلماً ، فمعرفة الله فطرته حاصلة لجمهور الخلق .

فإن قيل : إذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد ، وكيف يفكر

ذلك كثير من النظار نظار المسلمين أو غيرهم ، وفي زعمهم أنهم الذين يقيمون الأدلة العقلية على المطالب الإلهية .

فيقال : أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة ، هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية ، وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف وأجهلهم ، هذا معنى ماذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكذلك ماأركزه الله في فطرة كل أحد أنه إذا دعا لم يلتفت يمنة ولايسرة ، بل يجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ، ولهذا قال إمام الحرمين لما أورد عليه معنى هذا قال : حيرنى الهمدانى .

وأما العلم الذى لايحصل إلا بالنظر ، فيجب لأجله النظر لفهم القرآن الذي لايحصل إلا بتدبره

والنظر فيه ، وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لايعلم الحق فيها إلا بالنظر فإذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر ، فإذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر إلى غير الحق فيها ، فخطؤه مغفور له وله أجر اجتهاده ، وإن أصاب الحق فله أجران .

فالله تعالى يلهمنا الرشاد ، ويوفقنا للسداد، في أقوالنا وأفعالنا مما يحبه ربنا ويرضاه ، ويفعل ذلك بإخواننا من المؤمنين آمين . إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم .

# الفهرس

## الرسائل لابن تيمية

الفرقان بين الحق والباطل

معارج الوصول

التبيان فى نزول القرآن

الوصية الصغرى

النية

العرشية

الوصية الكبرى

الإرادة والأمر

العقيدة الواسطية

المناظرة فى العقيدة الواسطية

العقيدة الحموية الكبرى

الاستغاثة



طبع فى دار المطبوعات الحديثة ـ جدة ☎ ٦٦١٠٨٨٠